

غيف من فيض

وداعاً ..
إدوارد

نورا نصره

■ إدوارد سعيد المفكر الفلسطيني المنفتح على إنسانيته والمخلص حتى النهاية لوطنيته، إدوارد الذي استطاع أن يكسر قيد الجنسية ويحول فلسطينيته إلى طاقة للانفتاح على الآخر العالمي والنضال من أجل كشف الصورة الحقيقية للصراع في الشرق الأوسط، هو ذلك الشخص الذي يملك قدرة هائلة على التفكير المنطقي والتطور الفكري السياسي بمواكبته لتغير الأحداث والمعطيات على الساحة الدولية والساحة الداخلية والعالمية هو الذي جعل قضايا العرب المصيرية وقضية فلسطين حاضرة دائماً في فكره وفي أعماله حتى استحق بجدارة لقب المناضل الفلسطيني الأول خارج الحدود العربية لقد حاول إدوارد تعليماً التعامل مع الآخر ليس بفرض أنه يحتوي على مكون واحد يطبع كل مفرداته بل على كونه مجموعة من المكونات كحالة أي مجتمع على سطح الكرة الأرضية. فليس هناك عداء أبدي لأمريكا بكل مفرداتها وليس هناك حتى لإسرائيل مثل هذا العداء الشمولي.

عبر إدوارد عن ذلك كله من خلال أفكاره ودراساته وتقييمه للوضع الدامي ففاضل منذ سنين في خدمة فكرة إقامة دولتين متجاورتين إسرائيلية وفلسطينية تتعايشان سلمياً معتبراً أن هذا الطرح هو الطريق الوحيد لحل القضية الفلسطينية ووقف إراقة الدماء فقال (فلسطين ليست أرض شعب واحد بل شعبين لا يمكن لأحدهما إلغاء الآخر أو طرده منها، عليهما أن يتعايشا بسلام ووثام).

وفي حينها استنكر كثيرون طرح ابن مدينة القدس هذا فهوهم من قبل العديدين. ولكن هذا الأمر لم يجعله يتراجع عن مواقفه وأفكاره بل دفعه مجدداً لتقديم طرحه الجديد والأخير قبل عدة أشهر في محاضرة ألقاها في الجامعة الأمريكية ببيروت حين نعى مشروعه القديم واستحالة تطبيقه في ظل الأصولية التي تحكم عقلية طرفي الصراع وقدم فكرته حول قيام دولة واحدة تضم داخلها قوميتين عربية وإسرائيلية تتعايشان معاً بسلام ومن وجهة نظره رأى أن هذا الحل هو الأنسب وهو الوحيد الذي سيحقق السلام في المنطقة إلا أن الكثيرين اعتبروا طرحه انهزامياً ومجحفاً وظالماً بحق الانتفاضة التي لم توفر أرواحاً أو دمماً.

ولعل الأخبار التي تناولتها الفضائيات العربية في الأيام الأخيرة عن تمرد سبع وعشرون ضابطاً في سلاح الجو الإسرائيلي ورفضهم القيام بعمليات اغتيال في المناطق الفلسطينية والتي من الممكن أن تؤدي بحياة المدنيين الأبرياء، ومن ثم الموقف الذي تناولته وسائل الإعلام أيضاً عن مطالبة بعض المثقفين الإسرائيليين القضاء بتوجيه تهمة (القتل) لقائد سلاح الجو الإسرائيلي ريمنا ربما هذه التوجهات تؤكد وجود اختلاف في الشارع الإسرائيلي المدني والعسكري وميل نحو تحقيق سلام يؤمن التعايش السلمي بين الجانبين، هذه الأصوات المتزايدة من داخل إسرائيل والمطالبة بالأمن ووقف إراقة الدماء قد تكون مؤشراً إيجابياً بتنامي النزوع نحو السلم وهو ما يجب أن يحظى بالمرئيد من الاهتمام من قبل الدول العربية واستثمارها بشكل جيد يخدم قضاياها ويبشر ربما بجل للنزاع.

إن أطروحات إدوارد سعيد والخيارات الأخرى المطروحة منذ مؤتمر مدريد والذي طرح مبدأ (الأرض مقابل السلام) وما قبل مدريد أيضاً والمحاولات العديدة لحل القضية، عبر المقاومة المسلحة. حماس والجهاد. والانتفاضة الفلسطينية، وما يدعو إليه المجتمع الدولي حالياً، وسعيه لتطبيق خارطة الطريق واعتبارها مفتاح لحل القضية، ووضع نهاية لها يضعنا أمام تساؤلات عديدة عن أي الطرق ستوصلنا إلى النهاية المطلوبة، فهل هو طريق إدوارد سعيد أم طريق الشيخ ياسين والمقاومة المسلحة أم هو طريق حكومة قريع وخارطة الطريق؟

الأيام المقبلة والمستقبل كفيلاً ربما بالإجابة على هذا التساؤل..

luara_nasra@hotmail.com

المسافة القصيرة بين مقتل أنا ليند وعقيلة الهاشمي

عصام البغدادي



وزارة شهدت مقتل واختفاء العديد من كوادرها خلال حقبة الاعوام الثلاثين الماضية . رحلت عقيلة الهاشمي دارسة القانون التي كانت مميزة بهدوئها الجم عندما كانت طالبة في كلية القانون والسياسة في السبعينيات والعاشقة للادب الفرنسي الرصين.. رحلت ولم ازل احتفظ بنسخة من كتاب قدر الانسان للكاتب الفرنسي اندريه مالروا - الوزير الديغولي والرحالة المستكشف لاسرار الحضارة في جنوب شرق اسيا .. تلك النسخة التي اهدتها لي حين شاءت الصدفة ان اتعرف بها ويبدو بيننا حديث عن الادب الفرنسي الذي كنت مولعاً به مثلاً . لن اقول وداعاً لك سيدتي لان رحيلك ينبغي ان يكون نقطة الابتداء للمرأة العراقية لكي تؤدي دورها بقوة وثبات رغم مصاص القتل وان الأوان لكل المثقفين والمخلصين ان يسלטوا انوارهم على قوى الظلام والشر المخبئة في اوكرها مثل خفافيش الليل .

رحلت في الوقت الذي يدعو مثقف عراقي بنقل معاركه الاعلامية الى ساحات العشائر الخلفية حين يعود للوطن من المهجر كأن المارك الدائرة هناك غير كافية.. رحلت في الوقت الذي لا يزال مصير العيد من النساء والاطفال مجهولاً.. رحلت في الوقت الذي عرفت اسمك فيه نساء العراق وصار لهن املاً بمكانة افضل للمرأة العراقية بعد سنوات عديدة من الانتقاص والمذلة والهوان لدورها في بناء حياة افضل. مرة اخرى لن نقول وداعاً لانك ستكتوين اول الباقيات في ذاكرة نساء العراق. ❖ كاتب عراقي



لقد تحملت المسؤولية التاريخية في اكبر محنة يتعرض لها العراق منذ ان سعى وعمل حفنة من المغامرين العسكريين على تدميره

■ يقول فكتيور هيجو واجب المثقف ان يسלט النور على بقع الظلام المعتمة .. على اوكر خفافيش الليل المخبئة هنا وهناك سبق ان قلنا ان المرأة العراقية كانت هي المتضرر الاول في بنية المجتمع العراقي نتيجة سنوات الحرب العراقية الايرانية 1980-1988 حين فقدت المرأة العراقية خلالها جدرانها الاربعية التي كانت تستند الى احدها اقتصادياً واجتماعياً ونفسياً فقدت (الاب والاخ والزوج والابن) قتلى او اسرى او مفقودين في الحروب والسجون او مهاجرين خارج الوطن ولم تبق دار واحدة محافظة على تركيبها الاسري الا بصعوبة بالغة وقد واجهت المرأة العراقية هذه المحن بجلادة وصبر رغم كل ما تحتويه من تناقضات وصعاب اضافة الى ملاحقة النظام لها بشكل دوني اهدر كرامتها وعزتها وجعلها تتعرض لشتى الضغوط القاسية.

رحلت أنا ليند وزيرة خارجية السويد وهي الدبلوماسية البارعة واول من اصطحبت طفلتها معها الى الامم المتحدة لتضيف للامومة بعدها السامي .. رحلت بعد طعنات رجل مجرم لها وهي تؤدي واجبها العائلي بالتبضع من السوق بلا حراسة رسمية في بلد ديمقراطي مثل بلدها بعد ان كانت موافقها واضحة ازاء العديد من القضايا الدولية واهمها القضية العراقية فلم تجد قوى الظلام سبيلاً سوى التخلص منها كما فعلت ذلك سابقاً مع اولف بالمة بائمة مواطنها ورئيس حكومة بلدها في عام 1986.

وما هي الراحلة عقيلة الهاشمي تتوج شاهد اثبات على المأساة التي عاشتها المرأة العراقية وتكون اول امرأة عراقية سياسية يتم اغتيالها وثاني ضحية في عهد سلطة الاحتلال ويبدو ان القتل المتعمد في جرائم اغتيال قد استهدفوها في ذلك الصباح الذي خرجت فيه من دارها متوجهة الى مقر عملها لكي تساهم في ارساء مستقبل العراق بما لديها من خبرة طويلة في

هل أصبحت الوطنية أفيون الشعوب؟

ممدوح الشيخ

أخرى، ولا يجوز أن يحكمه منطق انتقائي.

وما هو المشهد العراقي يلقي بظلاله على كثير من الدول العربية التي أصبحت تبدو كما لو كانت تخوف شعوبها من أن الهدف إبادة الأمة كلها أو على الأقل سلبها حريتها وأن الدور قادم عليها لا محالة، ومن ثم تخيرها - ضمناً - بين الحفاظ على السيادة الوطنية والحفاظ على إنسانية الشعوب، ويصوغ مثقفون بناء على هذا التخيير الضمني خطاباً يصنف الناس بشكل حدي إلى مع وضد بشكل لا يجوز معه أن تكون هناك رؤية أخرى لها طبيعة توفيقية أو حتى خلافية. وإذا كانت تلك ضريبة مقبولة في نظر الكثيرين للتصدي للآخر فإن هذا يعني أننا نحطم مستقبلنا بأبدينا لأجل معركة قد لا تكون ابتداء مضطرين لخوضها. وما ينبغي للمجتمعات العربية من حيوية وقدرة على الفعل بعد كل معركة وطنية يتضاءل، وهذه المجتمعات هي رأس المال الحقيقي الذي يجب أن يصبح التقريب فيه من المحرمات، ربما قبل الحفاظ على الأرض والثروات والأنظمة. فكل هذه المقومات على أهميتها الشديدة ملك للشعوب ينبغي أن تستخدم فقط لتوفير الحياة الكريمة لها، أما التضحية بالشعوب بدم بارد على مذبح الوطنية المقدس - سواء كان ذلك بإلقائها في محرقة مغامرات عسكرية أو سلبها إنسانيتها بالقهر والاستبداد - فليس من الوطنية في شيء.

أكبر عليهم من يوم القيامة؟ حتى يردد بعضهم هذا الخطاب، وهل يعجز الإسلاميون حتى الآن الدرس من تجارب سابقة بعد أن دفعوا الضريبة الأكبر لغياب الحريات وسيادة القهر وخذاع الشعوب بشعارات المواجهة مع الغرب لاتخاذها كتنكة لممارسة القهر وحماية الفساد.

أنا عبر تجارب عديدة مريرة لم نستوعب أن مزيداً من الحرية واحترام آدمية المواطنين أول

فالمعركة بدأت بالفعل والحسم الآن وهنا، أما البناء الداخلي للمجتمعات بنفس طويل على نحو يجعلها تملك قدرة حقيقية على المواجهة دون صراخ فهو كلام في غير موضعه لأنه أقل وطنية مما ينبغي، رغم أن موازين القوى في اللحظة الراهنة هي - في النهاية - حصيلة عقود ضائعة من عمر الأمة العربية صودرت فيها حرية الشعوب بدعاوى مشابهة، فاستشرى الفساد وساد القهر

التضحية بالشعوب بدم بارد على مذبح الوطنية المقدس بإلقائها في محرقة مغامرات عسكرية طائشة أو سلبها إنسانيتها بالقهر والاستبداد ليس من الوطنية في شيء

ضمانات انتماء الناس لأوطانهم واستعدادهم للتضحية بكل غال في معاركها. وأن الوطنية إذ تصبح مرادفاً لتسوية القهر أو حتى مبرراً له تصبح أفيوناً بكل معنى الكلمة. فاحترام القوانين والديساتير الوطنية ليست ثغرة لدخول الغزو الأجنبي ولا سبيلاً لإهدار السيادة الوطنية، والمطالبة بالالتزام بها لا يمكن أن يصبح موسماً يقبل في مواسم تحددها النخبة ويجرم في

والاستبداد وتكرس التخلف والضعف. ولعل أكثر ما يغير الدهشة في هذا المنطق المغلوط أن تنبأه حركات إسلامية تعلم أن البناء والإعمار فرض شرعي في كل وقت، كما يقول الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في الحديث الصحيح: إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها، فهل يعتبر الإسلاميون أن العدوان الغربي

منذ أن عرفت كمقولة ماركسية شهيرة لخصت عبارة الدين أفيون الشعوب موقفاً من الدين إذ يستخدم لإلهاء الشعوب عن معاناتها، ورغم أن المقولة تعكس عداء مبدئياً للدين أي دين، فإنها تعد من ناحية أخرى نموذجاً لمنطق التضليل عموماً، ومنها ألعاب التضليل التي تمارسها النخب السياسية والثقافية ضد شعوبها متحالفة مع قوى الاستبداد. وكل استبداد سياسي له أفيونه الذي يفضل استخدامه ويجيد ترويجه بين رعابها، ويبدو أن الوطنية أصبحت أفيون الاستبداد السياسي العربي الذي يحرص على أن تكون وطنية متشعبة تتحول إلى ما يشبه الجنون في مواجهة كل ما هو غربي. فإذا حضر الغربي على شاشة الرؤية حقيقة أو توهمها تحضر مفردات الصراع وتفرض نفسها، وعندئذ نصب جميعاً في معركة مصير الأكثر تشدداً فيها والأعلى صراخاً هو الأكثر وطنية!

وما نخسره بهذه الروح العصابية ليس فقط أفاناً ممكنة لعلاقة مع هذا الغرب أقل توتراً وأكثر قدرة على إعادة التوازن ولو قليلاً لموازين القوى المختلفة. بل نخسر ما هو أهم، عندما ترتفع صيحات الحرب وتدار المجتمعات بمنطق التنكة العسكرية، ويصبح كل خروج عن الطابور العسكري خيانة وعمالة، ويوصف كل تفكير أخلاقي أو إنساني بأنه ترف يلهي الجنود عن المعركة الفاصلة.